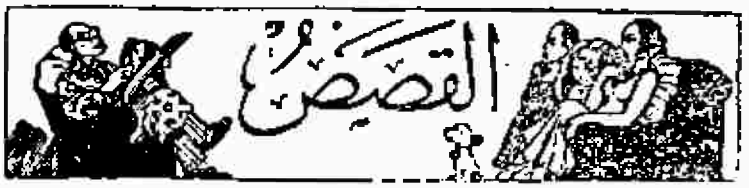

متى يعـــود بابا ؟ !

للأستاذ شـــاكر خصباك

وأخيراً تحققت أمنيتي بالسكنى في ضاحية «مصر الجديدة» . كنت قد زرتها مرة وأعجبت بأبنيتها المتشابهة الطراز والألوان ، وسحرت بشوارعها النظيفة الهادئة . وتلك صفات لا تتوفر في «باب اللوق» الذي أقطن فيه . قصدت إلى «مكتب السمسرة» وعرضت على الموظف المختص شروطي . نقر الموظف على المنضدة متأملاً ، ودس قلم الرصاص في شعره يبحث به مفكراً ، ثم رفع رأسه وقال متسائلاً : غرفة هادئة في «شقة» تسكنها أرملة نبيلة توفي زوجها منذ شهر مخلفاً بنتاً في السابعة من عمرها ، والإيجار خمسة جنيهات شهرياً — أتعجبك ؟ !

— إنها .

وتقلت متسامياً إلى المنزل الجديد . وعلى بابه وقفت امرأة وطفلة . المرأة في مقتبل العقد الثالث متوسطة القامة على شيء من البدانة . عيناها السوداوان جياشتان ، وكذلك أنفها الأقنى الصغير ، لكن فمها يميل إلى الاتساع ، والطفلة جميلة مرحة فاتنة وجه بشوش وهيئة ضاحكة .

— سعيدة .

— سعيدة ! أهلاً وسهلاً .

واجتزت الباب يتبعني الخال . تلفت ورأى فرأيت الطفلة ترسل إلي نظرات فرحة . ابتسمت لها فقفزت نحوي وتعلقت بأذيال سترتي . ثم رفعت إلى وجهها الضاحك وهتفت جذلة :

— أنت طويل مثل بابا .

— صحيح ؟ !

وامتدت يدي إلى رأسها تلاطف شعرها في حنان . وفجأة انطلقت كالقذيفة . انحنيت على حقائبي أفرغ محتوياتها في الصوان والمكتب .

— يا أستاذ ... يا أستاذ ...

سمعت صوت الطفلة فتحولت بأنظاري إلى الباب أرتها في شغف . تقدمت نحوي تتعثر في مشيتها وذراعاها تنوءان بحملها . «عروسة» عاجية وحصان خشبي وسيارة صغيرة ، وضعتها على الأرض في عناية وشرعت تناولني واحدة بعد أخرى في زهو واعتزاز . قلت وأنا أتلقاها بين يدي في إعجاب :

من أهدى إليك هذه اللعب الجميلة ؟ !

فلمعت عيناها ببريق الغبطة وهتفت في حماس : بابا اشترى لي هذه اللعب كلها ... بابا يحبني كثيراً .

فربتُّ على خدها في لطف وقلت : حبيبي ... غداً سأشتري لك لعبة جميلة .

فتطلق وجهها وبان السرور في عينيها وهمست في سذاجة : أنت تحبني كبابا .

ربما ! ... وبمضي الأيام اشتدت محبتي لها . ما سبب تلك المحبة ؟ ! الله أعلم . قد يكون مبعثها رثاء لطفلة يتيمة الأب . قد يكون مصدرها إعجاب بروحها الأليفة ، روح يفيض حيويته على البيت فيملؤه بهجة وحركة ونشاطاً .

وفي كل مساء كنت أخرج إلى شرفة الدار وأتمدد على مقعد الراحة ، «الترو» يزفر في الشارع تحتي كأنه بعيق بحمله . وكساري «الترام» ينفخ في زمارته بملل ، وتفير السيارة يسري بين حين وآخر ، والناس يروحون ويجيئون ، وفريدة تقبل على قفزاً بمحبة دُماها لتسألني مشاركتها في اللعب كعادتها كلما رأتني منفرداً في الشرفة .

— هالو ! فيفي .

وركعت لعبها على الأرض وتربعت إزاءها . ثم شرعت تملأ السيارة الصغيرة . وفجأة توقفت يدها عن الحركة وبدت كأن أمراً يشغل بالها ، ماذا يقلقها ؟ ! رفعت عينيها إلي وسألتني في استعطاف .

— هل تشترك معي في اللعب عندما يعود بابا ؟ ! سنلعب ثلاثتنا معاً .

سرت فى جسدى رعدة خفيفة وأنا أحدق فى وجهها البرىء وأصغى إلى سؤالها الساذج ، ألا تعلم بموت أبيها ؟ ! وسمعت لسانى يهمس فى تردد : حسناً ، سأفعل .

صفقت فرحة وهرعت إلى غرفة أمها وتركت السيارة الصغيرة تدور حول نفسها ، وتراءى إلى مسامعى صوتها وهى تسأل الأم فى لهفة : ماما ... متى يعود بابا ؟ !

تأخر صوت الأم فى الرد ثم تناهى إلى يتمتم فى بطء : قريباً إن شاء الله يا فيفى .

وظهرت أمامى ثانية (تتخطر) كالمغريات !

— بابا سيعود قريباً من الأسكندرية وسنلعب ثلاثتنا معاً .

— إن شاء الله .

قضيت تلك الأمسية موزع النفس بين شتيت من العواطف والأحاسيس ؛ ألم وسخط وضيق وحزن . ثم أوت فريدة إلى فراشها فانطلقت إلى الأم .

— ألا تعلم فريدة بموت أبيها المرحوم؟ !

سألت الأم ، فأجابتنى بنغمة كئيبة تفيض بالحزن والألم :

كلا . لقد بعثتها إلى بيت عمتها فى «المنصورة» أثناء مرض أبيها ، ولما توفى استدعيتها ثانية وزعمت لهـــا أنه سافر إلى الأسكندرية لمهمة تتعلق بعمله .

وقرأت معانى التوسل السبق فى عينيها وهى تضيف قائلة : أرجو أن تساعدنى على إخفاء الحقيقة عنها ، فهى تحب أباها حباً عظيماً ، وأخشى أن تصيبها صدمة نفسية إن اكتشفت الحقيقة .

فى هذه المرة أدركت لماذا تضاعف حبى لها واشتد شغفى بها. وكالنهر حين تزدحم مياهه فتتدفق على جوانبه فاضت عواطفى على فريدة . فيفى ، إحتفظى بقبلة الشيكولاتة لك وحدك ... فيفى ، أعطينى قبلة فى عينك ... فيفى ، أتحبين هذه العروسة الصغيرة ؟ ! فيفى ، هيا نلعب لعبة القط والفار .. فيفى ، سأحبك غداً إلى مدينة الملاهى .

وسارت الحياة ، وانطوى الزمن ، وبدأت الأم تتخلى عن تحفظها شيئاً فشيئاً وتتقرب إلى . إشتركنا أول الأمر فى عاطفة واحدة ؛ حب فريدة . ثم تطور الاشتراك فى العواطف وتعددت جلساتنا وطال انفرادنا . فى الأسبوع الأول راحت تقهر فرص غيبة فريدة لتجلس إلى وتحدثنى عن موضوع يتعلق بزوجها مبتدئة بعبارة تقليدية : لقد كان مثال الزوج المخلص رحمه الله .. الحمد لله الذى عوض فريدة بشاب مثلك يعوضها من حنان أبيها ومحبته

وفى الأسبوع الثانى تحررت من قيد البيت فتأبطت ذراعى ومشت فى حياء : هيا بنا يا سى زكى نقضى الأمسية فى أحد المقاهى .

وفى الأسبوع الثالث ، فى عصر ذلك اليوم دعتنى إلى السينما قائلة : فى سينما « كايرو بالاس » فلم ممتاز لتيرون پاور... فلنشهده هذه الليلة يا زكى .

وعدنا فى الساعة العاشرة والدار يغمرها الظلام وفريدة والخادمة الصغيرة نائمتان أو المفروض أنهما نائمتان . خلعت بدلة السهرة واستبدلت بها لباس النوم . ودست جسدى بين طيات الفراش فتناهى إلى صوت فريدة تسأل أمها فى ضيق وقلق : ماما .. متى يعود بابا ؟!

وجمجم صوت الأم فى تردد وبطء : قريباً إن شاء الله يا فيفى .

خيم الصمت لحظة ثم ارتفع صوت فريدة فى لهجة المرتاب : ولكن متى يعود ؟ ! فى كل مرة تقولين قريباً ، وأنتظره فلا يعود

— سيعود قريباً يا فيفى وسيجلب لك هدايا كثيرة . والآن يجب أن تنامى وإلا فإنه لن يحبك إذا علم أنك ظللت ساهرة حتى هذا الوقت المتأخر .

حل السكون ثانية فأغمضت عينى ومشاعر الألم والسخط والضيق والحزن تمور فى صدرى . إلى متى يستمر جهلها بمصير أبيها ؟ ! إلى متى يدوم تضليلها ؟ ! ما أحوجها إلى محبة تعوضها حنان أبيها وتلقى على ذكراه رداء النسيان .

فى اليوم التالى ابتعت لها (عروسة) كبيرة ذات عينين تُفتحان وتُغلقان كلما تحرك جسدها .

— فيفى ... تعالى هنا أنبئك بهدية طريفة .

دقيقة ودقيقتان وثلاث ... لماذا تأخرت ؟ ! ثم ظهرت على عتبة الغرفة تخطو فى تمهل وتردد .

— خذى هذه (العروسة) يا فيفى . . أتحبينها ؟

وحدقت فيها مليًّا والتردد يشيع فى صفحة وجهها النقية ، حركت الدمية يميناً وشمالاً فانفتحت عيناها وأغلقتا . وفى لمح البرق اختطفتها من يدى وعدت خارج الغرفة .. ماذا أصابها ؟! خرجت وراءها مذهولاً فعاجلنى بكاؤها منبعثاً من غرفة الاستقبال ، مددت رأسى من الباب فرأيتها منبطحة على الأريكة ورأسها مدفون بين الوسائد والدمية مضمومة إلى صدرها ، انهالت على الأريكة بجانبها ومرت بكفى على شعرها فى حنان وأنا أهمس فى رقة :

— لا تبكى يا فيق .. ما الذى يضايقك ؟ !

فرفعت إلى عينين مخضلتين بالدموع ودمدمت بصوت مخنوق وهى تشهق : ألا يعود بابا ليشترى (عروسة) كهذه ؟

— بالطبع سيعود يا فيق .. سيعود بعد أيام قليلة .

ولم يعد الأب بعد أيام قليلة ، وأصبحت فى مقامه لدى الأم . اليوم تخرج إلى النزهة وغداً إلى الملهى وبعد غد إلى السينما ، وفى (كازينو سفير) نالت إعجابنا مائدة منزوية فى الزاوية اليسرى المطلة على شارع عثمان بن عفان ، واعتادت فريدة أن تمر على رصيف هذا الشارع بصحبة الخادمة الصغيرة فى طريقها إلى منزل عمتها فتراناً منهمكين فى الحديث أو الضحك . وتتوقف قليلاً وترمقنا بنظرات جامدة وتواصل سيرها مكفهرة الوجه . ثم تلتفت نحونا مرة ومرتين وثلاثاً حتى تختفى من أنظارنا ! .

وأصبحت فريدة اليوم غيرها بالأمس ! كل شىء تغير فيها . أضحى الصمت طابعها المميز والكآبة سمتها الدائمة ! واختفى الضجيج والمرح من البيت ، وخيم عليه جو من الكآبة الثقيلة . فيق ، لماذا لا تضحكين ؟! فيق ، لماذا لا تجرين فى ساحة الدار ؟! سلبت البيت بهجته ونشاطه ؟!

وتحمل فريدة لعبها وتتخير ركناً منعزلاً وتنفرد بها وتمضى الوقت معها فى صمت ، وأقبل عليها ضاحكاً وأهتف مرحاً : أتسمحين لى بمشاركتك فى اللعب يا فيق ؟

وتجمع دماها فى هدوء وتنسل إلى غرفتها فى سكون .. لماذا أضربت عن مشاركتى فى اللعب ؟ ما الذى يبعث فى نفسها الكآبة والصمت ؟ !

وفكرت هنيهة . دمية جميلة تعيد علاقتنا إلى سابق عهدها . واشتريت (عروسة) كبيرة من الجبس تضع على رأسها طرطوراً وتجلس فى هيئة المتأمل ؛ الرأس بين الكفين والرفقان على الركبتين

— فيق ... اشتريت لك (عروسة) عظيمة ... تفضلى .

— لا أريدها .

ولبثت أرنو إليها فى جمود دون أن تمد إليها يداً .

— كونى عاقلة يا فيق . خذيها .

— قلت لك لا أريدها .

وانفلتت ذاهبة ، ثم عادت بعد حين . نظرت إليها مشدوهاً وهى تكوم أمام اللعب التى أهديتها إليها ووجهها عابس وشفتاها ملتويتان . واستدارت لتعود أدراجها فتشبثت بذراعها .

— ماذا بك يا فيق ؟ ! لماذا غاضبتنى ؟ !

حاولت أن تتملص من قبضتى فخابت ، وعندئذ انفجرت بالبكاء . وصرخت فى غضب حزين :

— أنت كذاب . أنت لا تحبنى ... وأنا لا أحبك أيضاً . أنا أحب بابا . سيعود بابا وسيضربك أنت وماما .

وتركت قبضتها مذهولاً فرقت من الباب كأنها تفر من سجن : وتحولت إلى كوم الدمى أرقبه فى لوعة وأسف . ما الذى غيرّ قلبها علىّ ؟ ! وما شأنى فى الأمر إن كان غياب أبيها مصدر لوعتها ؟! ولماذا باتت تحس نحوى بهذا النفور الشديد ؟ !

وأصبح مرآى يثير الاشمئزاز والكراهية فى نفسها ، ما تكاد عيناها تنالنى حتى تفيض بنظرة مقت . وتتخلص ملامح وجهها وينمره فيض من عواطف البغض . وبدأت تعيش كالغريبة فى الدار . ما تكاد تعود من مدرستها حتى تلجأ إلى غرفتها لتناجى لعبها فى صمت . ولم تعد تسأل أمها عن أبيها ، وأخذت تمضى معظم ساعات النهار فى بيت عمتها ، فأمسى المنزل كئيباً موحشاً . واقتنعت بتلك اللحظات القصيرة التى تهيأ لى فيها رؤيتها حين تجلس إلى مائدة الفطور . وفى تلك الدقائق كانت تثبت عينيها المتألقتين ببريق الحقد على وجهى وتتأملنى فى وجوم . حاولت مرة أن أحدق فى عينيها لأستشف من وراءهما ما يدور فى فكرها . ولشد ما دهشت حين قفزت من مقعدها فى صمت وحملت كوب

الشاي وانسلت إلى غرفتها بهدوء . وجرت أمها خلفها لتعيدها إلى مقعدها فواجهتها بالصراخ والنحيب حتى أفلحت في الذهاب . وصار من المألوف أن تسبقني إلى الفطور ، فإذا رأتني مقبلاً على المائدة تركت الفطور واختفت في غرفتها بسكون .. لماذا تكرهيني يا فيفي ، لماذا ؟ !

ودب التحول في جسمها وغمر الشحوب وجهها وانطفأ بريق عينيها سوى بصيص من الحزن والقلق . والأم حزينة لحال ابنتها مسرورة بحبها الجديد . أنا مهموم محزون لا أدري ماذا أفعل وكيف أستعيد محبة الطفلة ثم حدث أن عدت من (البنا) ذات مساء في الساعة الثانية عشرة والنصف بصحبة الأم . فتحت الأم الباب فراعها أن تبصر فريدة منطرحة على أحد مقاعد الصالة في وضع مهمل ، إتجهت إليها الأم وهزت جسدها في رفق فهبت من رقادها تصرخ في جنون . وحملتها الأم بين ذراعيها في اضطراب ، لكنها انطلقت ترفس الهواء برجليها محاولة التخلص منها

— مالك يا فيفي ؟ ... لماذا تبكين يا فيفي ؟ !

لا جواب سوى الصراخ . صراخ يمسل عنان السماء . ثم انحلت عقدة لسانها واندفعت صائحة :

أنت تكذبين عليّ يا ماما . بابا لن يعود إلا حين يترك سي زكي دارنا ... أنت بعثته إلى الاسكندرية لكي تحضري سي زكي هنا ... لا أريد أن يمكث معنا . لا أريد أن يمكث معنا ... لماذا يعيش في دارنا بدل بابا ؟ . أنا لا أحبه ، لا أحبه .. بابا أحسن منه . بابا أحسن منه يا ماما ..

انسلت إلى غرفتي في صمت وأنا أشعر بقبضة قوية تعصر قلبي . وتهالكت على المقعد ووضعت رأسي بين كفي وأغمضت عينيّ مفكراً ، وقبل أن ألجأ إلى الفراش كانت حقائبي معدة للرحيل

وقفت الأم في الصباح التالي في ركن من ساحة الدار ترقب الخدم في وجوم وهو يروح ويغدو حاملاً متاعي . واختفت فريدة وراءها تتلصص إلى النظرات في ابتهاج . وتمّ كل شيء فأقبلت عليهما مودعاً وابتسامة باهتة ترفرف على ثغري شددت على يد الأم في حرارة فاستقبلت كفي بين كفيها وحدقت في وجهي بعينين تحيرت فيهما الدموع . ولم تنه بكلمة واحدة . وقبل أن أستدير مولياً الأدبار رنوت إلى فريدة بنظرات تجمعت فيها مراطب الحب والحزن والأسف ، فابتسمت في سرور وتشفٍّ ، وهبطت السلم متمهلاً ثم توقفت حين سمعت فريدة تسأل أمها في فرح : ماما .. متى يعود بابا ؟!

وواصلت هبوطي ثانية ولساني يهمهم في أسىً : قريباً إن شاء الله يا فيفي !

(القاهرة) شاكر مصباح

جامعة فؤاد الأول

كلية طب العباسية — إعلان

تعلن كلية طب العباسية عن وجود وظيفتين لمعيدين خاليتين من الدرجة السادسة بقسم الفسيولوجيا بالكلية .

ويشترط فيمن يتقدم لإحدى الوظيفتين أن يكون حاصلا إما على :

١ — بكالوريوس العلوم بدرجة جيد جداً في الكيمياء والحيوان .

٢ — بكالوريوس في الطب والجراحة بدرجة جيد .

٣ — بكالوريوس في الصيدلة بدرجة جيد .

وأن يتفرغ لعمله بالكلية فلا يسمح له بمزاولة للمهنة خارج الوظيفة بأي شكل ويمنح نظير ذلك بدل تفرغ قدره عشرة جنيهات مصرية شهرياً فوق المائية إن كان طبيباً أو صيدلياً .

وتقدم الطلبات باسم حضرة صاحب العزة عميد كلية طب العباسية في ظرف أسبوعين من تاريخ النشر .

والموظفون يقدمون طلباتهم عن طريق المصالح التابعين لها .

ولمن تقدموا لهاتين الوظيفتين قبل هذا الإعلان تجديد طلباتهم .

٣٩١٦ .